

سلام كانط وسلام كوتشنر!



15 يونيو 2019 - 10:44

د. ناجي صادق شراب

أسئلة كثيرة تطرحها صفقة القرن، لكن يبقى السؤال الرئيس الذي يشكل دافعا قويا لأي مبادرة هل هدفها إرساء السلام؟ والسؤال تتبعه أسئلة كثيرة عن ماهية هذا السلام وركائزه وأسس وآلياته. وإذا كان الهدف هو السلام، فبلا شك سيكتب لها النجاح، والقبول من أطراف الصراع. هذه هي الإشكالية الكبرى التي غابت عن كل المبادرات والجهود التي قامت بها الإدارات الأمريكية التي قد إحتكرت العملية التفاوضية والتسوية بين الطرفين الرئيسيين العربي الفلسطيني والإسرائيلي، وهي التي اخفت وراثها كل أسباب الفشل، لأن هذا الإحتكار عكس أولا تحييد بل إلغاء لكل المرجعيات والشرعية الدولية التي تحكم أي عملية سلام ومفاوضات ناجحه، وثانيا تبنى وجهة نظر واحده للسلام وهي وجهة نظر إسرائيل في فرض السلام الذي يحقق أمن وبقاء إسرائيل ويشعرن سياساتها الإحتلالية، ويتجاهل الشق الثاني للسلام الذي لا تكتمل أي عملية سلام بدونها، وهي وجهة النظر الفلسطينية، وهو الطرف الذي يعاني من غياب السلام في عدم ممارسة حقه في تقرير مصيره وممارسة حقوقه السياسية التي نصت عليها قرارات الشرعية الدولية، ويتطلع لقيام دولته الديمقراطية المدنية، وشعبه تحت ذل الإحتلال وتمتهن كرامته الوطنية بسبب سياسات الإحتلال والحصار والحواجز. والسلام عملية كلية متكاملة شاملة هدفها إنهاء الحروب، وهو الهدف الذي لم يتحقق منذ نشأة الصراع العربي الإسرائيلي أربعة حروب رئيسيه شهدتها العلاقات العربية الإسرائيلية، وحروب كثيرة على المستوى الثنائي لبنان وفلسطين، وآخرها ثلاثة حروب على غزة، وهي حروب غير متكافئة راح ضحيتها آلاف المدنيين الأبرياء، وتدمير البنية التحتية الهشة أصلا في غزة، ليعيش أكثر من مليونيين نسمة في حالة فقر وبطالة وخوف دائم. معيار نجاح السلام أن يضع حدا للحروب، وأن يخاطب الحقوق الناقصة أو الحاجات الأساسية لأطرافه، وان يحقق التوازن في معادلة الحقوق وصولا لصيغ من التعايش والمصالح المشتركة وبناء نماذج للتنمية والإعتماد المتبادل في إطار من بنية أساسية من القيم تقوم على نبذ العنف والكرهية والحقد، والقبول والتفاعل الإجماعي. ولعل الحالة الخاصة من العلاقات بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وفي الإطرا العربي الواسع تفرض البحث عن هذه الصيغة المفقودة للسلام. فالحتمية الجغرافية الواحدة، والتداخل السكاني، ووقائع التعامل المشترك على الأرض، وفشل خيارات الحرب، وحقيقة أن إسرائيل تقع في قلب فلسطين وفلسطين في قلب إسرائيل وهو ما تشكله وحدانية الأرض، يفرض لمن يريد ان يحقق السلام أن يبحث في هذه الحقائق ويتعامل معها بشكل مباشر. إسرائيل حققت ما تريد من دولة تجاوزت الحدود المرسومة لها وفقا لقرار 181. وابدئ الفلسطينيون كل المرونة السياسية، ووافقا على دولة فقط بمساحة تقارب العشرين في المائة من مساحة فلسطين الإنتدابية كلها وباقل بحولى خمس وعشرين في المائة من مساحة الدولة التي نص عليها قرار الأمم المتحدة 181. الفيلسوف الألماني كانط وفي رسالته عن السلام مستبعدا سلام القبور، يحدد شروطا عامه لتحقيق السلام للجميع، يقول لتحقيق سلام دائم بين الدول: حرب أو صراع، فالبدل عن فشل السلام أن تعيش الدول في حالة حرب دائمه وهو خيار لا يمكن لأي دولة أو شعب ان يتحملة. ويضيف الحكم بالحق بين الأطراف المتنازعة المتحاربه. وإعطاء كل ذي حق حقه. هذه إرشادات لتحقيق

السلام. والسؤال هنا هل يمكن ان يكون جاريد كوتشتر كانط ويفكر كما يفكر. وينظر للسلام كما ينظر؟ لا يبدو ذلك قائما ، فالسلام الذي تتبناه صفقة القرن هو نموذج السلام الأحادي الذي يلبي حاجات إسرائيل فقط، ولا احد يعترض عربيا وفلسطينيا على أن لإسرائيل حاجات أمنية ومخاوف ينبغي طمأننتها وهو ما تضمنته المبادرة العربية أن تمنح إسرائيل حالة الدولة الطبيعية مقابل حالة الدولة الطبيعية لفلسطين. صفقة القرن سبقت وتجاوزت كل المبادرات الأمريكية السابقة بأن طبقت بنودها على الأرض قبل ان تعلن فنزعت القدس من جسدها الطبيعي ، وأوقفت كل المساعدات عن وكالة الغوث تمهيدا لشطب ملف اللاجئين، والتمهيد لضم أراض من الضفة الغربية لإسرائيل لشرعنة الإستيطان والإحتلال. هذه هي إشكالية صفقة القرن وإشكالية كوتشتر انه يتعامل مع السلام ليس كسلام ورؤية بل كعملية أحادية. وينظر إليه من جانب واحد فقط، سلام يهدف لفرض الأمر الواقع بالقوة ، وبالاعتراف بحقائق الاحتلال، وبدلا من إرساء بذور السلام وتميئتها ، وخلق بيئة السلام يعمل على ترسيخ بيئة الحرب وإطالة أمد الصراع. لهذه الأسباب سيكون مصير الصفقة الرفض والفشل لسبب بسيط انها لا تتعامل مع السلام بقدر ما تتعامل مع الحرب.